حمّى مالطة

للاب بوفيه لابيار اليسوعي مدرّس علم البكتيريولوجيا في مكتبنا الطبي

حدثت في هذه الاشهر الاخيرة في بيروت وسواحل الشام بعض اصابات بحُمّى مالطة انتهى قسم منها بموت اصحابها فلهجت الالسنة بهذا الداء الجديد الذي لم يُسمع به سابقًا في جهاتنا ورغب الينا البعض ان نكتب فصلًا موجزًا في تعريف هذه الحمّى وبيان خواصها وعلّتها واعراضها وكيفيّة تشخيصها وعلاجها فأجبنا الى مبتغاهم بهذه النبذة فنقول :

﴿ اسمها ﴾ ان هذه الحمّى نُسبت الى مالطة لكثرة المصابين بها في تلك الجزيرة ولأنّ الاطبّاء الانكليز اذ وجدوها فاشيةً في جنودهم الرابطة هناك وجّهوا اليها نظرهم وامعنوا في حقيقتها ورأوا انها ليست كحُمّى المستنقعات المعروفة بالحمى الملاريّة فتختلف عنها بأعراضها . ثم وجدوها ايضًا في شحنتهم المحتلّة في جبل طارق فتحقّقوا انها سليمة العقبى لكنّها تنهك قوى الجنـد فلا يعودون قادرين على اقام مامورياتهم

فاستوقف هذا الوصف لحمّى مالطة واعراضها نظر الاطبّاء في عدّة امكنة فتبيّنوا بعد البحث وجودها في عدّة بلاد كسواحل البحر المتوسّط الشرقيّة والجنوبيّة وعلى ضفاف البحر الاحمر وفي الهند والصين وجنوبي افريقية وفي جزائر انتيل والولايات المتّحدة وافرزوا بينها وبين الحمّى الملاريّة فبقي عليها اسم حمّى مالطة وان لم تختصّ بهذه الجزيرة وهي اعرف باسم حُمّى البحر المتوسط . وكانت الاصابات بهذا الداء قليلة في مصر وبورسعيد فاخذت منذ سنين قريبة تنمو وتزداد الى ان احتلّت بلادنا ضيفًا ثقيلًا كنّا وددنا لو كُفينا شرّهُ

﴿ تعريفها ﴾ انّ حُمّى مالطة معدودة بين الامراض القليلة الوَفَيات التي تختلف مدّتها اختلافًا كبيرًا . ومن خواصها تعدُّد نوباتها وكل نوبة منها تدوم اسبوعًا او عدّة اسابيع ثم تنقطع عن المصاب مدّةً غير معلومة لمًا انقطاعًا تامًا واما نوعيًا . وكثيرًا

ما تحدث في هذه الحمّى ارتباكات شتى اخصُّها الورم واوجاع المفاصل والعرق الوافر والانيميا (الهُزال) وضعف الاعصاب

واغلب الذين يصابون بهذه الحمّى تتراوح اعمارهم بين السادسة من سنّهم الى سنّ الثلاثين . وهي تصيب على حدٍّ سواء الوطنيين والاجانب . على انّها اذا عشّشت في بلدٍ كما في مالطة ربّما تنتشر كانتشار العدوى . ومعظم فشوّها في الشهور القليلة المطر. امني من حزيران الى ايلول لكنّها لا تنحصر في فصل الصيف . ولحظوا في كل فصول السنة افرادًا مُبتلين بمرّتها كما انّها تصيب الناس في كل الامكنة في المدن او القرى . في البرّ او البحر . على انّهم وجدوا ان فشوّها في بعض الامكنة اكثر من بعض كثكنات العساكر وبعض البيوت الخاصّة او بعض السفن البحريّة دون أن يتحقّقوا الى الآن سبب هذا الاختلاف في انتشارها

﴿ علّتها ﴾ بقي الاطبّاء زمنًا طويلًا وهم يُعلّلون هذه الحُمّى تعليلهم للحُمى الملاريّة وحمى التيفوس او التيفوديّة الّا انّ المحققين من حكماء عصرنا ولاسيما الذين تخصّصوا بالابحاث عن الجراثيم المعدية والميكروبات استدلّوا على علّتها الحقيقيّة فهم اليوم يتّفقون على انّ مسبّب هذه الحمى انّما هو ميكروب خاصّ دعوهُ ايضًا باسم ميكروب مالطة (Micrococcus Melitensis) وكان اوّل من افرز هذا الميكروب الدكتور الانكليزي بروس (Bruce) سنة ١٨٨٧ فاكتشفهُ في طحال بعض المتوفّين بهذه الحمى واثبت صحّة قولهِ باختبارات متواترة فبيّن انّ هذا الجرثوم هو علّة المرض وليس غيرهُ . ومنذ عهد قريب جرت اكتشافات أُخرى يستفاد منها انّ ميكروب هذه الحمى موجود في بعض المواشي وعلى الاخصّ في حليب المعزى وبولها حيث تتوفّر جراثيمهُ المعدية

وليس الوقوف على هذا الميكروب بأمر سهل لأنّ وجودهُ في الدم نادر الّا في اوّل الحمى عند تفاقمها . لكنّهُ في الطحال وفي الغدد اللمفاويّة كثير وهو هناك ينمو ويتمادى مكثهُ ومن اراد استنباتهُ امكن تطعيم بعض الحيوانات كالقرود بهذه الجراثيم فاذا أُصيبت بالداء يُستخرج منها الميكروب ويُدخل في جسم حيوانات اخرى فيصيبها ما اصاب الاولى

وميكروب حمى مالطة غاية في الدقّة كالميكروبات المجانسة لهُ فلا يبلغ قطرهُ

ثلث الميكرون (والميكرون الجزء الالف من الملمتر) فيقاس ٣٣, ٠ من الميكرون يُرى بالمجهرات المكبّرة القويّة فتراهُ غالباً منفرداً ويكون مجتمعاً ثُنائي ورُباعي ولا يُرى على شبه السلسلة الّا نادراً وتراهُ ساكن الحركة واحسن طريقة لاستنباتهِ ان يُجعل في نوع من الهلام يستخرجونهُ من الحشّ البحري (algues) ويدعونهُ جلون (gélose) فتراهُ بعد قليل على صورة مستعمرات صغيرة تُرى بالعين المجرّدة وتكون كدُرر شفّافة . وبعد ٣٦ ساعة تضرب صورتها الى لون الكهرب ثم تصير مصمتة . اما درجة الحرارة الموافقة لتنميتها فدرجة حرارة الجسم اعني ٣٧° فوق السفر من ميزان السنتغراد

وقد زعم بعض الاطبّاء انّ حياة هذا الميكروب ضعيفة سريعة الطب الّا انّ أولي البحث والتنقيب بيّنوا على عكس ذلك انّ ميكروب هذه الحمى يمكنهُ ان يعيش طويلاً في الماء والزبل وعلى ثياب المرضى وانّ البرد واليبس لا يقتلانهِ . والبول يصلح لهُ فينمو فيهِ وقد وجدوا منهُ كمّيات وافرة في لبن المعزى والبقر السليمة المنظر وفي ابوالهم وفي بول الناس الذين يلوحون بتمام العافية والصحّة . لا بل استدلّوا على وجودهِ في الكلب والخروف والفرس وذلك هو السبب لتفشّي هذه الحمى في بلاد كثيرة

﴿ طريقة انتشارها ﴾ انتشار حُمى مالطة من انسان الى آخر سليم لا يكون عادةً بالمسيس كما انّ العلماء انكروا انتقالهُ توًّا من الهواء او من الماء والمآكل الى ذوي الصحّة . الّا انّ في قولهم نظراً على الاقلّ فيما يخصّ الحليب كما سترى . والغالب انّهُ ينتشر بالتلقيح فيكفي لذلك وخز ابرة غُمست في مستنبت ميكروبات هذه الحُمّى . ولعلّ ناقل جراثيمها هو البعوض واسندوا زعمهم الى انتشار الداء في فصل توفُّر البعوض اي فصل الصيف ثم الى وجود ميكروبهِ في جسم هذه الهامّة وتمكّنوا من تلقيح قرد بعض البعوض الناقة للميكروب . وما لا يُنكر انّ الخدم الذين يُعتنون في المستشفيات بمعالجة المحمومين بحُمّى مالطة يصابون بهذا الداء اكثر من سواهم بعشرة اضعاف

ومن المحتمل ان تنتقل هذه الجراثيم الوبيئة بواسطة الغبار المنتشر في الهواء سواء تمّ ذلك بدخولها في الجسم بالتنفّس او بسقوطها على جرح او على الجليدة الواصلة بين

العين والجفن (conjonctive) وما يدلُّ على صحَّة هذا الرأي اكتشاف ميكروبات هذه الحمَّى في براز الانسان والحيوان . وزد عليه انَّهُ يمكني لانتشار عدواهـا كتبَّة زهيدة جدًّا من الجراثيم الوبيئة . وقد تأيَّد هذا الرأي بحادث جرى في انكلترَّة وهو انَّ رجلًا أُصيب بهذه الحمى لوضعه في فمه الترمومتر الطبِّي الذي كان ابنهُ يستعملهُ في مالطة اذ كان محمومًا

الَّا انَّ اعظم وسيلة لنشر هذا الداء انَّما هو حليب المعزى . فانَّ الاختبارات التي اجروها في مالطة بيَّنت انَّ عشر أمعُز في المئة من معزى مالطة كان حليبها ملوَّثًا بميكروب هذه الحمى . ولمَّا اشربوا بعض القرود من ذلك الحليب الفاسد أُصيبت القرود بالمرض . وكذلك الجنود الانكليزيَّة الرابطة في مالطة انتشر بينهم الداء فبلغ ٣ في المئـة ثم تفاقم في بعض الاحيان حتى بلغ ١٥ او ٢٠ بالمئة فلمَّا قطعوا عنهم شرب حليب المعزى كفَّ المرض . وهكذا جرى لجنود جبل طارق الذين كانوا يقتاتون بحليب معزى اتوا بها من مالطة فانَّ الحمَّى انقطعت عنهم بقطع سببها . وزاد الامر ايضاحًا سنة ١٩٠٥ اذ نقل احد المراكب الانكليزيَّة المدعو يوشوا نيكلسون (Joshua Nicholson) قطيعًا من معزى مالطة عددها ٦٥ فاكثر الذين شربوا حليبها في المركب أُصيبوا بالحمى المالطيَّة

ثمَّ جرى في السنة ١٩٠٨ حادث آخر لم يُبقِ في الامر شكًّا في انتقال ميكروب هذه الحمى بواسطة المعز . كان احد اغنياء باريس سمع بانَّ حليب المعزى يقوى على السلّ ولا يتلوَّث بميكروبه فابتنى في فُنتانبلو قريبًا من باريس حظيرة كبيرة واستجلب بنفقات طائلة من تلك المواشي اسرابًا من سويسرة واسبانية وبرّ الاناضول حتى بلاد نوبية . فبعد مدَّة فشت عدوى بينها دامت أيامًا وقبل انقطاعها أُصيب صاحبهـا بمع البستاني الذي كان يُعنى بامرها بحمى شخَّصها الطبيب كحمى التيفوس وبعد شهر ظهرت في الريضَين اعراض غريبة فخفَّت الحمى ثم تكرَّرت نوباتها على طرائق غير قانونيَّة لا توافق الحمى التيفوسيَّة فلم تظهر بقع وردية عدسيَّة الحجم على جسم المصابين الَّا انَّ احدهمـا احسَّ باوجاع في الكلى والاخر بوجع عرق النَّسا . وكان العرق يبلُّ جسم احدهما حتى يلزم ان يغيِّر شراشف فرشه وثيابهُ مرارًا في النهار . فكلُّ هذه الاعراض نبَّهت فكر الطبيب الى حُمى مالطة التي انتقلت الى المريضين بواسطة حليب المعزى

﴿ تشخيصها ﴾ تُشخَّص حُمَّى مالطـة كما تُشخَّص الامراض الميكروبيَّة

ولاسيما الحمى التيفوسيَّة فيستخرج الطبيب نقطة من دم المريض ويأخذ مَصْلهُ فيمزجهُ بمستنبت ميكروبات حيَّة ثم يفحصهُ بالمجهر فان كان المريض سالم الجسم من هذا الداء بقيت الميكروبات منفردة منبثَّة في المزيج . اما اذا كان محموماً بهذه الحمى فترى الميكروبات تتقاطر وتزدحم بعضها ببعض فتكون على اشباه البُقَع المتلاصقة . وهذا التلاصق (agglutination) هو الدليل الاكيد على انَّ حمى مالطة دهمت جسم الانسان فيعالجهُ الطبيب كما سترى

﴿ أعراضها ﴾ حضانة هذا الداء يختلف زمانها فقد وجدوا اشخاصاً أصيبوا به بعد قدومهم مالطة بستَّة ايَّام وغيرهم شعروا بنوباته ١٥ او ١٧ يوماً بعد خروجهم منها ويظنّ البعض ان هذه الحمى تبقى اسابيع بل شهوراً عديدة في طور الحضانة ثم تظهر على بغتة . واوَّل ما يشعر بهِ المصاب نوعٌ من العياء والتَّعب كما يجري وقت حضانة الحمَّيات الخبيثة وكذلك يحسُّ بوجع الرأس وتكسُّر وثقل في الاعضاء ولا يلبث ان يلزم الفراش ويفقد القابليَّة ويزيد الصداع ويتألم المريض من العطش ويعتريهِ الانقباض . وكل ذلك شبيه بأعراض حمَّى التيفوس دون البقع الورديَّة على الجلد . ويكون اللسان وسخاً والحنجرة محتقنةً مع بعض التهاب في الشُّعَب او الزنة وكذلك وجع في الحاصرة ويزيد الطحال حجماً ويكون التوم مترعجاً وفي بعض الاحيان يهذي النائم . اما درجات حرارة الحمَّى فتختلف صباح مساء فتسقط صباحاً وتصعد مساء وليلاً ويسيل العرق من الجسم بغزارة

وبعد اسبوع او اسبوعين تخفّ الاوجاع ويقلّ العرق وينظف اللسان ويعود للمريض بعض القبول للطعام ومع هذا التحسُّن في الصحَّة يبقى المريض متوعّكاً جامداً معرَّضاً للقبض ولوجع الرأس . وبعد قليل تزيد قابليَّتهُ وينام نوماً نظامياً الَّا ان القوى تبقى ضعيفةً والحمى خفيفة . ثم انَّ الوجع يعود بعد أيَّام فتبتدئ نوبة ثانية كالأولى وكثيراً ما يظهر ورمٌ في المفاصل ينتقل من عضو الى آخر وكذلك اوجاع الاعصاب تتنقل في سائر اقسام الجسم هذا اذا لم تحصل ارتباكات غيرها . ويمكن ان تعود نوبات الحمى مراراً متعدّدة بعد انفصالها حتى انَّ بعض المصابين داموا في هذه الحالة المَرَضيَّة سنين ومعدَّل دوامها اربعة اشهر . اما الوفيات فانها قليلة الَّا اذا اشتدت نوبتُها الى حدّ بالغ وتجاوزت حدود الحرارة الاعتياديَّة فتميت المريض سريعاً واذا اصيبت الرئة فالموت ممكن

﴿ ملاجها ﴾ على الذين يسكنون في مالطة وفي المدن التي صار فيها الداء مزمناً أن يتخذوا كل الاحتياطات في الاكل والشرب لاسيما الحليب الذي يجب تعقيمهُ قبل الاغتذاء بهِ . وكذلك يُتقى البعوض وتُغسل آنية الطعام بالماء المغلي . والأولى بالمسافرين ان لا يرحلوا الى تلك الجهات في فصل الصيف

اذا تحقق الطبيب ان احد المرضى أصيب بالداء فليرصهِ باخذ شربةٍ مع تفضيل الزئبق الحلو (calomel) او الجلب (jalap) ثم يسعى المرضون بتبريد حرارة المحموم بحيث تبقى الدرجة مطلقاً تحت ٣٩,٥° وذلك اما بغطسهِ في الماء البارد واما بغسل رأسهِ بالماء المثلج الممزوج بالخلّ او برضم لبخات الثلج وليعذروا من اهباط درجة الحرارة اكثر من درجتين او ثلاث . وقد بيّن الاختبار انَّ الكينا والسَّلسيلات لا تنفعان في هذا الداء بل تضرّان . ويجوز استعمال الانتيپيرين وخصوصاً لازالة الصُّداع كذلك يعالج القبض بالمسهلات او بالحقن . ويجب على المريض ان يجتنبي من الطعام الّا الحليب النظيف وبعد مدَّة يُعطى الحُساء والبيض وبعض المآكل الخفيفة المنعشة ولا يأكل المواد الجامدة الّا بعد نظافة اللسان ويحسن شرب الليموناذة وعصير الليمون الحامض . وليبق الطعام معتدلاً على مدَّة حذراً من الانتكاس . وليلزم الدار وليمتدّ على كرسيّ طويل في البيت او في الجنينة اذا سمح الطقس بذلك وهذا على مدَّة ثلاثة اسابيع

اما اللبس فيكون من القلانلًا واذا ابتأت بالعرق فليبدلها . وليس تغيير الهواء لازماً كما يلزم في حُمى الملاريا اذ لا يقوى المريض غالباً على اتعاب السفر اما اذا انقطعت عنهُ الحمى ويرى تماماً فيحسن بهِ ان يبتعد مدَّة عن البلد الذي يفشو فيهِ هذا الداء

وقد اخذ بعض الاطبّاء ان يلقحوا المرض بميكروبات ميتة من الحمى المالطية الّا انهم حتى الآن لم ينالوا نجاحاً يُذكر . ولعلَّ هذا التطعيم يفيد بعض الافادة في الامراض المزمنة عندما تخفُّ نوبة الحمى وتهبط درجة الحرارة تقويةً للجسم . اما الوقاية منها بالتطعيم السابق فحتى الآن لم يصحّ . لطّف الله بعبادهِ وخفّف بعنايتهِ ادواءهم